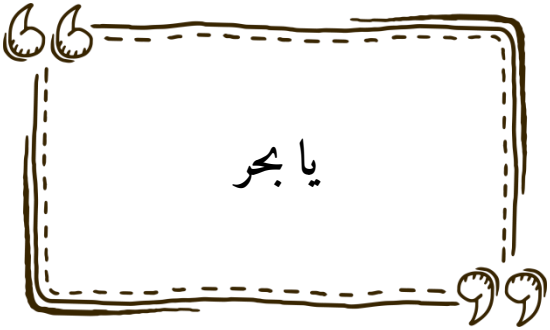
يا بحر

منتصف شهر أغسطس، الثانية والنصف بعد منتصف الليل، تجلس فاتن أمام أمواج بحر مدينة الإسكندرية، ترتدي ملابسها الأنيقة، تخفي عينيها خلف نظارتها الشمسية رغم اكتساح الظلام؛ لكي لا يرى أحد من المارة دموعها التي اختارت أن تطلق لها العنان فقط أمام صديقها الوفي، حيث غادرت مدينة القاهرة العامرة بالضجيج -محل إقامتها- بمفردها لتبدأ مع صديقها في البوح بما يضيق به صدرها، بعدما مرت بأحداث عاصفة متلاحقة في فترة وجيزة دون أن يشعر بها أحد من البشر؛ فهي بنت الأكابر، نجلة أحد رجال الأعمال المرموقين في مجال

السياحة، يمتهن أشقاؤها أعلى المناصب الرفيعة بالدولة، وعلى الرغم من تمتعها بمقومات جسدية ومالية متميزة؛ فإنك لا ترى منها الغرور والتعالي أبدًا؛ ترى منها فقط كل بساطة وهدوء وتواضع وابتسامة خفيفة تخفي عظيم الخجل.

منذ ستة أشهر تودد إليها عمرو نجل رجل الأعمال فوزي المنسي منافس والدها الأول في استقطاب الأفواج السياحية، يطلب الزواج منها، فكانت مباركة والد فاتن للزواج مضمونة حيث يتمتع عمرو بالأصل العريق وابن الطبقة الأرستقراطية، فتلك هي المواصفات التي يتمناها في زوج ابنته، ولكنه لم يكن يعلم أن هذه الزيجة ليست كمعظم الزيجات هدفها عمارة الأرض والسكن والمودة؛ فهدف عمرو من تلك الزيجة ما هو إلا محاولة التوغل في نشاط والد فاتن السياحي لهدم أسطورته التجارية ليحل محله في سطوة السوق التجاري، فوالدها هو الفائز دائمًا بأهم الصفقات التجارية الأعلى ربحًا.

مرت فترة الخطبة سريعًا، وكانت كمعظم فترات الخطبة لدى معظم البشر، فترة هناء وسرور وتصنع الرومانسيات والتجمل في المواقف،

ليتم الزفاف سريعًا في أقل من ثلاثة أشهر، لتتفاجأ فاتن بمعاملة زوجها بطريقة تتناسب طرديًّا مع مقدار ما يحققه من غنائم، في محاولاته للتوغل في نشاط والدها السياحي، فكلما حصل على ما يريد كانت تغرق فاتن في بحور من العسل، وكلما عجز عمرو عن الحصول على مبتغاه أذاقها فنون الضيق والبطش، فما كان من والد فاتن عند عرضها شكوتها إليه من زوجها إلا الرفض بشكل قاطع اقتحام زوجها لنشاطه السياحي مرة أخرى، ومنعه من التودد إليه مرة أخرى بحجة علاقة النسب أو الاجتماعيات، فأصبحت فاتن كالطفلة في حيرة من أمرها، فأرشدها ضميرها إلى طلب الانفصال بكل هدوء، ولكن حملها لجنينها في أحشائها جعلها تجمد القرار بشكل مؤقت حتى تلد مولودها، ولإتاحة الفرصة لزوجها للاعتدال إذا هيئت له الظروف ذلك.

تمر بضعة أيام أحستها فاتن شهورًا مريرة، لتأتي النقطة الفاصلة في حياتها الزوجية، حينما تلقت وافر اللكمات من زوجها حين نهرته عندما سب والدها لرفضه مشاركته في أحد المشاريع السياحية، لتدخل فاتن بعدها مستشفى الطوارئ لإجهاض جنينها المتوفي جراء لكمات أبيه،

وما كان من والدها إلا الاستجابة لطلب ابنته وسعيه معها للانفصال عن زوجها بعدما رحل الرابط بينهما، والسعي أيضًا على إنزال العقوبة القانونية الملائمة له جراء فعلته البغضاء، فما كان من عمرو إلا رفضه تطليق زوجته، ومحاولته التنصل من فعلته، ثم بدأ في مساومة فاتن ووالدها على الانفصال على أن يكون تطليق فاتن بكل هدوء وإنهاء العلاقة الاجتماعية بين العائلتين دون عراك أو نزاع، وبراءته من حقوقها الشخصية المدنية لديه، بالإضافة لعدم اتخاذ الإجراءات القانونية الجنائية ضده جراء الضرب والإجهاض، وهو ما استجاب له والد فاتن لطي تلك الصفحة للأبد، وحتى لا تصبح الأخبار المتداولة عنه شخصية جنائية لا اقتصادية تجارية، لتحصل فاتن على لقب مطلقة قبل أن تغادر المستشفى، وعلى الرغم من كونها قد تماثلت للشفاء حين خروجها من المشفى؛ إلا أنها كانت تسير ببطء شاردة الذهن، تجر آلامها، لا تقوى على النظر لأحد من البشر، صامتة كالروح التي أنهكها الجسد.

وبعد عدة أيام عادت فاتن لمزاولة نشاطها المهني من جديد، ولم تكن تتوقع أنها على موعد جديد مع الآلام، فبعدما كان الجميع يتهافت على

طلب ودها تجنبها المعظم من زميلاتها، فلا يحادثونها إلا للضرورة الملحة وبشكل مقتضب مقزز، فكانت في نظرهم السيدة الشابة المطلقة التي أجرمت، فهي كالورم السرطاني يجب التخلص منه وبشكل فوري، بعدما كانت أعز الحبيبات، فتوهمن زميلاتها بأنها قد تجذب إليها أزواجهن، فمن المؤكد أنها بعد أن خضعت لكنف الرجولة وذاقت طعم الذكورة وسعادتها، فلا بد لها من العمل على افتراس رجل جديد يعوضها حرمان السعادة الزوجية والعاطفية.

أما زملاؤها من معشر الرجال أصحاب النظرة الذكورية العلوية فكانوا على نفس النهج ولكن بزاوية فكرية مختلفة؛ فالمطلقة في نظرهم محدودة الأدب، وبطبيعة معتقدهم فالمطلقة هي صيد ثمين سهل القنص لإقامة النزوات، خاصة بعد حدوث فض مسبق لغشاء العفة، فأصبح الطريق لهم ممهدًا لإقامة النزوات، والدخول في طريق الوحل لنهايته دون وجود بعض من التحذيرات قد توضع في الحسبان تحرمهم من المتعة الكاملة، فلم تسلم من مضايقات الرجال والتودد المبالغ فيه،

ناهيك عن التعرض للتحرش اللفظي الذي لا تقوى على البوح به، وطلب العقوبة للجاني حتى لا تزداد نظرة المجتمع لها انحدارًا.

و رغم أنه من المفترض لدى كبار السن من الذكور والإناث عظيم الحكمة ووافر الحنان؛ إلا أن أحدًا منهم لم يرحم فاتن، فمع تعاملهم المقتضب معها تجد عبارات العزاء والمواساة ومصمصة الشفايف المقززة المنفرة كمريضة سرطان في مرحلته الأخيرة التي تنتظر الموت المؤكد القريب، وكأن زوجها السابق الذي أبغضته واستخدمت حقها الشرعي بالانفصال عنه شخص عزيز رائع وهي من أخطأت وتجنت عليه، ولم تدرك وتحسن استخدام ما أنعم الله به عليها، وكانت القشة التي قسمت ظهر البعير تتمثل في الأهل والمقربين لها، فلم تسلم فاتن من تدخلهم في نظام حياتها وطبيعة ملابسها وتجملها وتعاملاتها الظاهرية ومعرفة الأشخاص الذين تتواصل معهم، كأن طلاقها خطيئة كبرى ووصمة عار يجب أن تدفع ثمنة طوال حياتها، وتختفي بسببه من الوجود إذا استمرت حالتها الاجتماعية على وضع الطلاق.

ومع تلك المواجهات والتحديات وتفاقم الوجع تقدمت فاتن باستقالتها من عملها وانطلقت بمفردها دون رضا عائلتها إلى صديقها

الشافي الوفي بحر الإسكندرية، الذي صادقته منذ مهدها تشكو إليه وتسأله:

- أيرضيك يا بحر ما حدث لي من صدمات وخيبات؟

- هل أذنبت حينما اخترت الفراق بعدما استحالت العشرة الطيبة؟

- هل أستحق هذه المعاملة من البشر لكوني اخترت أن أحيا بإنسانية وبلا قيود؟

- هل أنا كالعورة الغليظة يجب أن أتخفى عن العيون حتى لا أعاير أو أفترس من سائر الحيوانات الناطقة؟

- هل لك أن تصف لي علاجًا لأوجاع روحي الباهتة؟

هذه الأسئلة وأكثر وضعتها فاتن في صندوق رسائل صديقها المنقذ لتنتظره حتى الصباح لعله يجيبها.

❋ ❋ ❋